

الكشاف

يجوز أن ينطق الـ الاصنام حتى يصح التناول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين . والمراد بالمجرمين الذين أضلّوهم : رؤسائهم وكبرائهم كقوله : " ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلّونا السبيلا " الاحزاب : 76 وعن السدي : الاولون الذين اقتدينا بهم . وعن ابن جريج : إبليس وابن آدم القاتل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصي " فما لنا من شفيعين " كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبیین " ولا صديق " كما نرى لهم أصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الـ تعالى : " الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين " الزخرف : 76 أو : فمالنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدّهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الـ وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس . أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيعهم نفي ما يتعلق بهم من النفع ؛ لأن ما لا ينفع : حكمه حكم المعدوم . والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمله ما يهملك . أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص . فإن قلت : لم جمع الشافع ووجد الصديق ؟ قلت : لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق . ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبه وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة . وأما الصديق وهو الصادق في وداك الذي يهمله ما أهملك - فأعز من بيض الأنوق . وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال : اسم لا معنى له . ويجوز أن يريد بالصديق : الجمع . الكرة الرجعة إلى الدنيا . ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل : فليت لنا كرة . وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير . ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو : لفعلنا كيت وكيت .

" كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الـ وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين فاتقوا الـ وأطيعوا " القوم : مؤنثة وتصغيرها قويمة . ونظير قوله : " المرسلين " والمراد نوح عليه السلام : قولك : فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبرد . قيل : أخوهم ؛ لأنه كان منهم من قول العرب : يا أخا بني تميم يريدون : يا واحدا منهم . ومنه بيت الحماسة : .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا .

كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة كمحمد A في قريش " وأطيعوا " في نصحي لكم وفيما أدعوكم إليه من الحق " عليه " على الأمر وعلى ما أنا فيه يعني : دعاءه ونصحه ومعنى : " فاتقة

ا^١ وأطيعون " فاتقوا ا^٢ في طاعتي وكرره ليؤكدده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحدة منهما بعلّة جعل علة الأول كونه أميناً فيما بينهم وفي الثاني حسم طعمه عنهم .

" قالوا أتؤمن لك وأتبعك الأرذلون " وقرئ : وأتبعك جمع تابع كشاهد وأشهد . أو جمع تبع كبطل وأبطال . والواو للحال . وحققها أن يضمير بعدها قد في : واتبعك . وقد جمع الأرذل على الصحة وعلى التكسير في قوله : " الذين هم أرذلنا " هود : 27 والرزالة والنذالة : الخسة والدناءة . وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا .

وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة . والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول ا^٣ A وما زالت أتباع الأنبياء كذلك . وعن ابن عباس . السفلة : مقاتل وعن . والآسافة الحاقة : عكرمة وعن . الغاغة هم : هما B

" قال وما علمي بما كانوا يعلمون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين "